الاقتضاء في ضوء المعنى السياقي في كتاب الخصائص لابن جني(٣٩٢هـ)

الباحثة صابرين مظفر عبود

جامعة ميسان كلية التربية

أ. م. د. رعد نعمة راضي

جامعة ميسان كلية التربية الأساسية

المُلخّص:

إنَّ المعنى هو الغاية من كل نصّ أو رسالة، وهذا المعنى قد لايتحقق من النصّ وحده فهناك ظروف تحيط بالحدث الكلامي تعطي معنى آخراً غير المعنى الظاهري. ودور السياق هو الذي يقدّم المعنى المرجو من أي خطاب وهو الذي يحدد طبيعة المعنى، والمعنى هو مضمون الرسالة. أمَّا دلالة الاقتضاء يراد بها فهم مقصد القول وهي دلالة غير لفظية تستلزم معنى تابع للمعنى العباري وهي من ضرورة المتكلم، والاقتضاء هو مايحيل إليه اللفظ. هدفت هذه الدراسة إلى بيان ملامح دلالة الاقتضاء في كتاب الخصائص لابن جني، وذلك بالكشف عن ملامح اهتمامه بالمعاني التي يقصدها المتكلم، وطريقته في إيصال المعنى للسامع ومراعاته حال المخاطَب ومعطيات السياق، وبالمخاطَب وآلياته للفهم، وبمعطيات السياق وطريقته في تحليل اللغة اعتماداً على السياق المقالي والمقامي، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي. الذي يقوم على اساس استقراء الأمثلة والشواهد وتصنيفها وتحليلها لاسيما مايختصّ بدراسة دلالة الاقتضاء على المستويات اللغوية الثلاثة. ومعالجتها معالجة علمية بتحليل دلالاتها بعد التمهيد لها بداخل نظرية ملائمة، واعتمدت في توظيف المصادر التي اخترتها في دراستي بشكل اساس على كتاب الخصائص لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، لاستقصاء الامثلة والتطبيقات. وقد ذُيّلت الدراسة بخاتمة أوجزت فيها الباحثة أهم ماتوصَّلت إليه من نتائج.

الكلمات المفتاحية: الاقتضاء، السياق، التداولية، ابن جني.

المقدمة:

الحَمْـدُ للهِ رَبِّ العَـالمِينِ، والصـلاةُ والسـلامُ علـى أشـرفِ الخلـق والمرسـلين، محمـد بـن عبـد الله الأمين وعلى آلِ بيته الأطهار الميامين، وبعد:

تعتبـرُ اللغـةُ الأداة الرئيسـية للتواصـل والتبليـغ، وهـي علاقـة تواصـل بـين مـتكلمٍ وسـامعٍ لتحقيـق مقاصـد معينـة وتعتبـرُ التداوليـةُ كمـنهج لتحليـل الكـلام تقـوم علـى فكـرةِ دراسـة اللغـة اثنـاء الاسـتعمال أي مانقصـده لامانقولـه. وكـذلك فـأنَّ العربيـة لغـة تميـلُ إلـى التخفيـفِ، ورغـم ميـل العربيـة إلـى التخفيـفِ إلا أَنَّهـا لا تجعـل الكـلامَ غامضـاً ملتبسـاً، ولكنَّهـا تعمـد إلـى تعيـينِ المحـذوف وتأويلـه وتقـديره، ولعـلَّ أهـم الـدلالات التـي تسـتوعب ذلـك هـي دلالـة الاقتضـاء التـي تقتضـي تعيـين ذلـك المحـذوف أو المـبهم، وقـد جعلـت الدراسـة محورهـا هـو كتـاب الخصـائص لدراسـة هـذه الدلالـة فيـه. وتنبـع أهميـة الدراسـة مـن مجوعـة مـن الـرؤى التنظيريـة والتطبيقيـة: القيمـة التـي يحتلهـا كتـاب الخصـائص بـين كتـب التـراث، وقيمـة دلالـة الاقتضـاء فـي إيضـاح المعنـى سـياقيًا. وانتشـار ظـاهرة الحـذف فـي اللغـة وميـل العربيـة إلـى التخفيـف. وكـان مـن أهـم النتـائج التـي توصّـلنا إليهـا: أكـدت الدراسـة دلالـة الاقتضـاء هـي قسـم مـن الدَّلالـة السـياقية وهـذه الدَّلالـة مقصـودة للمـتكلّم، بحيـث يتوقـف صـحّة الكـلام، أو صـدقه علـى دلالـة الاقتضـاء، أي مـا يقتضـيه سـياق الكـلام. وأكـدت الدراسـة أنَّ أثـر السـياق فـي الدَّلالـة واضـحٌ؛ ذلـك أنَّ مبنـى دلالـة الاقتضـاء هـو علـى تقـدير محـذوفات يقتضـيها السـياق. فدلالـة الاقتضـاء لا تكـون ابـداً إلّا علـى محـذوفٍ دلَّ المقـام عليه وتقديره لابدّ منه؛ لأن الكلام دونه لا يستقيم، لتوقف الصدق والصحة عليه.

المبحث الأول

١- مفهوم الاقتضاء في العربية

-الاقتضاء في اللغة:

الاقتضاء لغة مصدر للفعل اقتضى، والثلاثي من قضى يقضي قضياً، والمصدر منه القضاء، وهو (الفعل والحكم) يقال: قضى يقضي قضاءً فهو قاضٍ إذا حَكَمَ وفَصَلَ وقَضَاء الشيء احكامه وإمضاؤه[١]، يقال قضى

(١) لسان العرب: مادة (قضي)، ٢٧٨.

بين الخصمين أي: فصل وحكم، وقضى الله أمراً، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيّاهُ وَبالوَالِدَينِ اِحْسَانَا** ﴾(الاسراء٢٣)، وقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا قَضَيْتُمْ الصَّلَآةَ** ﴾(النساء/١٠٣)، فالقضاء هنا بمعنى الاداء، فالقضاء هم الحكم. والجمع قضايا ومنه قوله تعالى: ﴿**فَقَضَاهُنَّ سَبْعُ سَمَوَاتٍ فَي يَومَينِ**﴾،(فصلت/١٢).

فالاقتضاء يرد في اللغة بمعنى الطلب أو الاستيعاب أو الدلالة، والمقتضي هو الطالب للشيء، والمقتضي: (هو ما يصاحبُ الشيء ويطلبه ويمنعُ تركهُ فيكون كالموجب، وقد يجيز تركهُ فيكون كالنادب، والأول منها يشمل الباعث المتقدم على ذلك الشيء والغاية المتأخرة عنه معاً، أو يخص كلاً منها على حدة في حين أن الثاني يكون خاصّاً بالغاية، فيقتصر على ما يهدف إليه)[٢].

والاقتضاء امثال فيقال من (اقْتَضى، يُقالُ: اقتضيت ما لي عليّه، واقتضيتُ حقي منه وتقاضيتُه، ومنه القاضي: وهو القاطع للأمور المحُكم لها)[٣].

(وقضُىَ الأمرُ: أي: أتمّ إهلاكهم، وكلٌّ ما أَحْكَمِ فقد قضيَ)[٤].

ب-الاقتضاء في الاصطلاح:

أمَّا في الاصطلاح عُرفت دلالة الاقتضاء بعدة تعاريف:

دلالة الاقتضاء هي دلالة للفظ على لازم المعنى المقصود يتوقف عليّه صدق الكلام أو صحته عقلاً أو شرعاً[٥].

وتعرف بأَنَّها دلالة اللفظ على معنى لازم للموضوع له ومتقدم عليّه، ويتوقف على تقديره صدق الكلام أو صحته عقلاً وشرعاً[٦].

والمقتضى هو: (المعنى أو اللازم العقلي المقدّر ضرورة تصحيح الكلام شرعاً، عند التصريح به بلفظ يبقى الكلام على حاله الاصلي من حيث الهيئة أو البنية والأعراب دون تفسير كما لو كان قبل التقدير. فإذا قال شخص لآخر: (أوقف دارك عني بألف). فأن العبارة تقتضي لصحتها شرعاً تقدير التمليك حتى يصح الوقف

(٢) مشكلة العامل النحويّ، فخر الدين قباوة: ١٢٥.
(٣) تهذيب اللغة، محمد أحمد الأزهر: ٩/ ١٦٩ – ١٧٠
(٤) تاج العروس، الزبيدي: ٣٩ / ٣١٦ .
(٥) انظر: لسان العرب:(باب اللام فصل الدال) ١/ ١٠٠٣.
(٦) البحر المحيط ، الزركشي: ٢/ ١٥٦ – ١٦١.

بأن يقال: بمعنى دارك بألف ثم اوقفها عني فهذا لم يترتب عليّه تغيير في بنية الكلام الاصلي ولا في إعرابه فهو من باب المقتضي)[٧]. ودلالة الاقتضاء هي ما كان فيه المدلول مضمراً، أي مقتضى الكلام مضمراً، ولا يستقيم الكلام الا بتقديره.

٢- مفهوم السياق

أ-**السياق في اللغة:** جاء (السياق) في المعاجم اللغوية من ساقَ، يسوقُ، سَوْقاً، وسياقةً ومساقاً وهو سياق، والجمع سياقات، وسياق الشيء مجراه وتتابعه، وسياق الكلام، والأمر، والأفكار، والمقامات التي يقع فيها، أو الظروف وتتابعاتها الأسلوبية[٨]، وجاء في تاج اللغة في مادة (س و ق) (ساق الماشية يسوقها سوقاً وسياقاً، فهو سائقٌ وسوَّق شدد للمبالغة)[٩]، والسياق من سوق، وأصله سِوَاق، فقُلبت الواو ياءً لكسرة السين، وهما مصدران من ساقَ يسوق[١٠]، وقال ابن فارس (السين والواو والقاف: أصلٌ واحد، وهو حَدْو الشيء، يقال: ساقه يسوقه سوقاً)[١١]، فمعنى السياقَ في المعاجم يدور حول التتابع، والتساوق، والمتابعة.

ب-السياق في الاصطلاح:

السياق بمفهومه العام (النظم اللفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم)[١٢]. وعرّفه محمود السعران بقوله: (هو جملة العناصر المكوّنة للموقف الكلامي أو للحال الكلامية)[١٣] وعرّفه كذلك بأنه: (مجموع الظروف الاجتماعية والتي يمكن أن تؤخذ بعين الأعتبار العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والسلوك اللغوي، ومعنى ذلك أن هناك أمرين يحكمان الاستعمال اللغوي، أولهما الاستعمال اللغوي نفسه، فلا تأخذ المفردات معانيها منعزلة عنه. وهو الذي يحدد معاني المفردات، وثانيها الموقف الذي يقال فيه الكلام، وهو ماسمّاه الاقدمون (مقتضى الحال)، وهذا السياق الذي يسميه (فيرث) بسياق الحال أو (سياق الموقف). والسياق هو: (ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضح المعنى)[١٤].

---

(٧) القاموس المحيط ، الفيروز آبادي:(باب اللام فصل الدال) ٣ / ٣٧٧.

(٨) المعجم العربي الاساسي: المنظمة العربية للثقافة والفنون.

(٩) تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل حماد الجوهري: ١٤٩٩.

(١٠) ينظر: لسان العرب: ١٦٦/١٠ (مادة سوق).

(١١) مقاييس اللغة: ١١٧/٣ .

(١٢) دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان: ٥٩.

(١٣) علم الدلالة النظرية والتطبيق، فوزي عيسى، رانيا فوزي عيسى: ٥٩.

(١٤) المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة والحديث: ١١٦.

والسياق هو الغرض أي مقصودُ المتكلم من إيراد الكلام وسياق الكلام تتابعه، أو (هو ما قد يطرأ على الكلمة من تطور دلالي بحسب القوانين التي ترصد حركة الالفاظ، والدلالات في الزمان المتتابع بين العصور، وفي المجالات المختلفة من علمية واجتماعية وفنية، فالكلمة تكتسب أبعادا جديدة، أو تحصر في إطار خاص، أو تنتقل إلى مواقع لم تألفها من قبل)[١٥]، ولخّص الدكتور ردَّة الله الطلحي مفهوم السياق في التراث العربي في النقاط الثلاث التالية:[١٦]

الأوّلى: أنَّ السياق هو الغرض: أي مقصود المتكلم من إيرادِ الكلام، وهو واحد من المفاهيم التي عبَّر بلفظ السياق (السوق) عنها، كان استعمالها بهذا منضبطاً عند الأصوليين.

ثانياً: أنَّ السياق هو الظروف والمواقف والاحداث التي ورد فيها النص، أو نزل أو قيل بشأنَّها، وأوضح ما عبَّر به عن هذا المفهوم لفظا الحال والمقام.

الثالثة: أنَّ السياق هو ما يعرف الآن بالسياق اللغوي الذي يمثله الكلام في موضع النظر أو التحليل ويشمل ما يسبق أو يلحق به من كلام يمكن أن يُعنى دلالة القدر منه (موضع التحليل أو يجعل منه وجهاً استدلاليا).

والسياق هو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة، متجاورة مع كلمات أخرى، مما يكسبها معنى خاصاً محدداً، وهو التركيب الداخلي لبنية النصّ من خلال ترتيب الالفاظ وتلاؤمها ومطابقتها لما قبلها وما بعدها من الفاظ مجاورة لها، وما تحتويه من قرائن تساعد على كشفِ دلالة المفردة في التركيب.

فالسياق على ضوء ما سبق هو التتابع ونظم الكلام والمعنى المراد من الكلامِ. والدَّلالة التي تحملها اللفظة في سياقٍ معين، وعلاقة اللفظة بما يتبعها وما يلحقها من كلمات من خلالِ ابراز المعنى والكشف عنه، وأن المعاني المقصودة هي الأساس في مفهوم السياق.

٣-التداولية:

تدور التداولية بمعناها اللغوي حول معاني الانتقال والمداولة والتحوّل، يقول تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** ﴾(آل عمران:١٤٠)، جاء في لسان العرب لأبن منظور في مادة (دَوَلَ): الدَّوْلة: العقبة في المال والحرب سواء، وقيل: الدُّوْلة في الضم في المال، والدَّولة في الفتح في الحرب، وقيل: هما سواء فيهما، يضمان ويفتحان، وقيل: بالضم وبالفتح هي، الدنيا، وقيل: هما لغتان فيهما الاخرة. والجمع دُوْلٌ ودِوْلٌ ودِوَلٌ، قال أبو عبيدة:

(١٥) علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، فايز الداية: ٢٢.

(١٦) دلالة السياق، ردَّة الله الطلحي: (أطروحة دكتوراه)، أشراف: عبد الفتاح عبد العليم، جامعة ام القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، المجلد الاول، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ، ٥٠-٥١.

الدُّولة بالضم أسم للشيء الذي يتداول به بعينه، وقال: الدَّوْلة بالفتح، الفعل، وقال الزجاج: الدُّولة اسم الشيء الذي يتداول(١٧).

وجاء في مقاييس اللغة لأبن فارس في مادة (دَوَلَ): الدال والواو واللام اصلان: أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان والآخر يدل على ضعف واسترخاء، فأما الأوَّل فقال أهل اللغة: اندالَ القوم، إذا تحولوا من مكان إلى مكان(١٨).

والتداولية هي: (مذهبٌ لسانيٌ يدرسُ علاقةَ النشاطِ اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلاقات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطابِ رسالة تواصلية واضحة وناجحة، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية)(١٩).

وابسط تعريف لها (هي دراسة اللغة إثناء استعمالها في سياقِ التخاطب تقوم على مراعاةِ كل ما يحيطُ بعملية التخاطب للوصولِ إلى معنى معين وإحداث أثر مناسب، إذ تبعث هذه الأخيرة في الشروطِ اللازمة لضمانِ نجاح الخطاب)(٢٠). والتداولية هي الترجمة الأفضل للمصطلح الأجنبي(Paragmatics)، أمَّا حد التداولية فهو الدراسة التي تعني باستعمال اللغة.

وأهم ماتتميز به التداولية عن غيرها من اتجاهات البحث اللغوي(٢١).

-أَنَّها تقوم على دراسة الاستعمال اللغوي.

-أَنَّها لاتحتوي على وحدات تحليل خاصَّة بها، ولاموضوعات مترابطة.

-أَنَّها تدرس اللغة من جهة وظيفية عامة(معرفية، واجتماعية، وثقافية).

-أَنَّها نقطة التقاء العلوم ذات الصلة باللغة.

-أَنَّها تعنى بالعلاقة بين التركيب والمقام.

وماتهدف اليه التداولية هو تحقيق الهدف التواصلي بين المتكلم والمخاطَب.

---

(١٧) لسان العرب، ابن منظور: ٥/ ٣٢٧-٣٢٨.

(١٨) مقاييس اللغة، احمد بن فارس: ٢/ ٣١٤ – ٣١٥.

(١٩) التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي:٥.

(٢٠) المنحى التداولي في كتاب "الخصائص" لابن جني، سمية شرفي:١١.

(٢١) انظر: آفاق في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة:١٤.

لمحة عن ابن جني وكتاب الخصائص

هو عثمان بن جنّي ويكنى بأبي الفتح النحويّ اللغويّ، والمُوصليّ نسبة للموصل المدينة التي ولد فيها سنة (٣٢٠هـ)، و(جنّي) معرب (كني)، ومعناه بالرومية: (كريم)،(نبيل)،(جيد التفكير)،(عبقري)، (مُخلص)، وهو عالم نحوي كبير، نشأ وتعلّمَ النحو على يد أحمد بن محمد الموصلي الأخفش(ت٣٨٠هـ)، وخلّف ابن جني الكثير من المصنفاتِ في شتى العلوم، وقد تتلمّذَ على يد شيخه–أبو علي الفارسي(ت٩٨٧هـ)– سنين عدَّة وأثر الفارسيّ في شخصية ابن جنّي العلمية كثيراً، حيث كان استاذاً له في كثير من المسائل النحويّة واللغوية فكانت نشأته في جو علمي، و كان ابن جنّي يتردد على كثيرٍ من اللغويين والنحاة، يأخذ منهم اللغة، وكان على مذهب البصريين، وكانت لابن جنّي شخصية علمية متفحصة تبيح له أن يتفَّرد بآراء يخالف فيها البصريين، فكان ينقل عن مذاهب أخرى–بغدادية أو كوفية– ليست بصرية في النحو واللغة، وكان غالبا مايسميهم أصحابنا.

تناولَ ابن جنّي في كتابه (الخصائص) موضوعات علمية ولغوية كثيرة لم يسبقه احد من قبله، وله آراء في مسائل لغوية عديدة، وألّفَ ابن جنّي العديد من الكتب، تجاوزت الاربعين مصّنفاً، وتناول فيها كثير من الظواهر اللغوية، منها مسألة نشأة اللغة والعلاقة بين اللفظ والمعنى، وربط المعاني بالأصوات في بابه الشهير من كتابه الخصائص (تعاقب الالفاظ لتعاقب المعاني)، وتناول كذلك الترادف ذلك أن تجد للفظ الواحد معانٍ كثيرة، واشهر ما تمثَّلَ به صاحب (الخصائص) هو تقارب الدلالات لتقارب حروف الالفاظ، وهو ما سماه (تعاقب الالفاظ لتعاقب المعاني) بيّن فيه أنَّ معاني حروف اللفظ التي تقترب من حروف لفظ آخر تقترب دلالياً مع بعضها البعض. واشتهر كذلك بالاشتقاق وانواعه، واللهجات، وكثير من المسائل النحويّة والصرفية كالسماع والقياس وغيرهما، وما زالت قيمة هذا الانتاج الضخم أثره في الدراسات اللغوية الى اليوم، وكان ابن جنّي رائداً من الرواد الاوائل الذين اولوا الدلالة الصوتية اهمية كبرى فهي عنده تسبق من حيث الاهمية الدلالة الصرفية والدلالة النحويّة، نظراً لأهميتها عنده، فعلاقة الصوت باللفظ عنده علاقة ترابط وتلاؤم.

ويكشف عن قيمة كتاب (الخصائص) أنه أصبح المصدر الأساسي للدراسات اللغوية فلا مناحٍ لمن أراد الاطلاع على هذا الأثر العظيم، فلا تذكر خصائص اللغة إلا وهي مقرونة بكتاب (الخصائص) وكفى بذلك فضلاً.

تطبيقات دلالة الاقتضاء في كتاب الخصائص

من أمثلة ذلك العلاقة التي ربطها ابن جنّي بين الحذف والسياق، وتظهر هذه العلاقة الارتباط بين دلالة الاقتضاء والحذف والسياق يقول ابن جنّي: (قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلّا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته. فأمَّا الجملة فنحو قولهم في القسم: والله لا فعلت، وتالله لقد فعلت. وأصله: أقسم بالله، فحذف الفعل والفاعل وبقيت الحال –من الجار والجواب– دليلاً على الجملة المحذوفة. وكذلك الأفعال في الأمر والنهي والتحضيض نحو قولك: زيداً، إذا أردت:

اضرب زيداً، أو نحوه. ومنه إياك إذا حذرته، أي: احفظ نفسك ولا تضعها، والطريق الطريق، وهلا خيراً من ذلك. وقد حذفت الجملة من الخبر نحو قولك: القرطاس والله، أي: أصاب القرطاس. وخير مقدم؛ أي: قدمت خير مقدم. وكذلك الشرط في نحو قوله: الناس مجزيون بأفعالهم إن خيراً فخيراً، وإن شرًّا فشرّاً، أي: إن فعل المرء خيراً جزي خيراً، وإن فعل شرّاً جزي شرًّا.

ومنه قول التغلبي:

إذا ما الماء خالطها سخينا ..[٢٢]

فمثلاً (زيداً) يقتضي كلاماً محذوفاً؛ لتتم الدلالة أي (اضرب زيداً)، وكذلك (إياك) تقتضي وجود دلالة وكلاماً محذوفاً، أي (احذر من كذا وكذا)، وكذلك (إن خيراً فخيراً)، أي: (إن ان خيراً فخيراً...) وهكذا.

فتعد ظاهرة الحذف من الظواهر النحوية المستحسنة لدى النحاة؛ لما فيها من التيسير بعدم التقدير أو التأويل، فهي ليست عبثاً بالتراكيب أو البنى، وإنَّما لعلة أو مقتضٍ يقتضيه لأن الحذف سنة من سنن العربية، ومقصد من مقاصدها وقد عوّل عليه العرب كثيراً في كلامهم، رغبة في الأيجاز والتخفيف، حتى جعله ابن جنّي ضرباً من اتساع اللغة.

ومن نماذج اهتمام ابن جنّي بالسياق الذي توظف فيه دلالة الاقتضاء ما ظهر في حديثه عن المشترك اللفظي، حيث تتفق الالفاظ رسماً وتختلف دلالة. قال: في (باب في اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين في الحروف والحركات والسكون): (غرضنا من هذا الباب ليس ما جاء به الناس في كتبهم نحو: وجدت في الحزن، ووجدت الضالة، ووجدت في الغضب، ووجدت أي: علمت؛ كقولك: وجدت الله غالباً، ولا كما جاء عنهم من نحو: (الصدى): الطائر يخرج من رأس المقتول إذا لم يدرك بثأره، و(الصدى): العطش، و(الصدى): ما يعارض الصوت في الأوعية الخالية، و(الصدى) من قولهم: فلان صدى مال، أي: حسن الرعية له والقيام عليه. ولا (هل) بمعنى الاستفهام، وبمعنى قد، و (أم) للاستفهام وبمعنى بل، ونحو ذلك، فإن هذا الضرب من الكلام –وإن كان أحد الأقسام الثلاثة عندنا التي أولها اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين (ويليه) اختلاف اللفظين واتفاق المعنيين– كثير في كتب العلماء، وقد تناهبته أقوالهم، وأحاطت بحقيقته أغراضهم. وإنَّما غرضنا هنا ما وراءه من القول على هذا النحو في الحروف والحركات والسكون المصوغة في أنفس الكلم)[٢٣].

إنَّ هذه الأبنية تخفي دلالة مطمورة تحدّث عنها ابن جنّي دون تصريح وهو يحرر القول عن دور السياق في عملية البناء اللغوي، ففي (وجدت الحزن– ووجدت الضالة...) وغيرهما دلالة اقتضاء لابد من تعيينها حتى يكون

(٢٢) الخصائص: ٢/ ٣٦٢.

(٢٣) الخصائص: ٢/ ٩٥.

الكلام صادقاً، فالحزن والضالة أشياء مجردة لا يُعثر عليها، وإنَّما تتفلت ولكن المعنى الحقيقي عرفت الحزن ووصلت إلى الضالة...

وليست دلالة الفعل (وجد) بمتعينة من خلال الكلمة المفردة ذاتها وإنَّما من خلال السياق، لاسيما وأن (الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفرد، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لاتعلق له بصريح اللفظ)[٢٤].

وقد اهتم ابن جنّي بالسياق وعده الأساس الذي يدرك من خلاله المعنى، وعلى أساسه تتحدد الدلالات لديه، ودوره في إظهار المعنى المطلوب، حيث تظهر دلالات الكلام من خلال السياق.

ومن نماذج حديث ابن جنّي عن سياق الحال وتناوله إياه قوله: (ومثّل له بقولهم (رفع عقيرته) إذا رفع صوته. قال له أبو بكر: فلو ذهبنا نشتق لقولهم (ع ق ر) من معنى الصوت لبعد الأمر جداً وإنَّما هو أن رجلًا قطعت إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى ثم نادى وصرخ بأعلى صوته فقال الناس: رفع عقيرته أي رجله المعقورة. قال أبو بكر: فقال أبو إسحاق: لست أدفع هذا، ولذلك قال سيبويه في نحو من هذا: أو لأن الأوّل وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر يعني ما نحن عليه من مشاهدة الأحوال والأوائل. فليت شعري إذا شاهد أبو عمرو وابن أبي إسحاق ويونس، وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه وأبو الحسن وأبو زيد وخلف الأحمر والأصمعي، ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها وتقصد له من أغراضها ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات ولا تضبطه الروايات فتضطر إلى قصود العرب وغوامض ما في أنفسها حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلته عليه إشارة لا عبارة لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقاً فيه غير متهم الرأي والنحيزة والعقل)[٢٥].

ومن اهتمام ابن جنّي بالسياق اهتمامه (بالقرائن الحالية) في فهم المعنى فحركات المُتَكلّم وهيئته تكشف المراد، ويتضح ذلك من خلالِ تعقيبه على بيت نعيم بن الحارث بن يزيد السعدي. تقول :

وصكَّتْ وجْهها بينهما أبعلِي هذا بالرّحى المتقاعسُ[٢٦]

يُعلّق على هذا البيت: (فلو قال حاكياً عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس –من غير أن يذكر صك وجهه– لأعلمنا بذلك أَنَّها كانت متعجبة منكرة، لكنه لما حكى الحال فقال: (وصكت وجهها) علم بذلك قوة أَنْكَارها وتعاظم الصورة لها، هذا مع أنَّك سامع لحكاية الحال غير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف، ولعظم الحال في

(٢٤) دلائل الإعجاز: ١/ ٤٦.

(٢٥) دلائل الإعجاز: ١/ ٢٤٩.

(٢٦) يُنْظر: الخصائص: ١/٢٤٧.

نفس تلك المرأة أبيت، وقد قيل (ليس المخبر كالمعاين)، ولو لم ينقل إلينا هذا الشاعر حال هذه المرأة بقوله: (وصَكَّت وجهها) لم تعرف به حقيقة تعاظم الأمر لها)[٢٧].

فالحال أو المشاهدة على رأي ابن جنّي لها الأهمية في الابانة والتعريف بالمراد، ويؤكد كلامه قائلاً: (أفلا ترى إلى اعتباره بمشاهد الوجوه وجعلها دليلاً على ما في النفوس، وعلى ذلك قالوا: (ربَّ إشارة أبلغ من عبارة)، وقال لي بعض مشايخنا – رحمه الله – : (انا لا أحسن أن أكلِّم انساناً في الظلمة))[٢٨].

إنَّ ابن جنّي في قوله السابق يؤكد على أثر المشاهد والاحوال في ابرازِ المعنى، كما للإيحاءات والاشارات الحميمة دور كبير في العمليةِ التخاطبية.

اهتمَّ ابن جنّي بـ(بالقرائن الحالية) في فهم المعنى فحركات المُتَكلّم وهيئته تكشف المراد.

أهتم اهتم ابن جني بسياق الحال، وتحليل الحدث الكلامي صوتياً وصرفياً ونحوياً من أجل كشف الدلالة اللغوية.

كانت لأبن جنّي في كتابه (الخصائص) آراء كثيرة ومتناثرة في أبوابٍ مختلفة لكن ينقصها التنظيم حاله حال زملائه في عصره وتناول ابن جنّي السياق بشقيه المقالي والحالي.

وقوله في سياق الدلالة الصوتية: (من ذلك قولهم: خَضِمَ وقَضِمَ، فالخَضْم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقَضْم للصلب اليابس نحو: قَضِمَتْ الدَّابةُ شَعيرها، ونحو ذلك.. فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس حذواً لمسموعِ الاصواتِ على محسوسِ الاحداثِ)[٢٩]، (فكلمة (خَضْم) تدل على أكل الرطب كالبطيخ والقثاء إذ ما قُورنت بكلمة (قَضْم) التي تدل على الاكل اليابس، نحو: قضمت الدابة شعيرها، يتضح ان صوت (الخاء) له دور في تحديد الدلالة، فقد ضمها ذلك اللين والرخاء، في حين اكتسب صوت (القاف) في الكلمة، أي قد يدرك الرخاء بالشدّة، وللّين بالشّظف)[٣٠].

وتناول ابن جنّي حديثه عن سياقِ الحال ونبّه إلى أنَّ مشاهد الحال قد ينوّب مناب اللفظ المحذوف لأن (المحذوف من اللفظ إذا دلَّت الدلالة عليه كان بمنزلة الملفوظ به)[٣١]، (وذلك ما قيم من الأحوال المشاهدة مقام

---

(٢٧) الخصائص: ٢٤٥/١ – ٢٤٦.

(٢٨) المصدر نفسه: ٢٤٧/١.

(٢٩) الخصائص: ١٥٩/١.

(٣٠) المصدر نفسه: ١٥٨/١.

(٣١) الخصائص: ٢٩٣/١.

الأفعال الناصبة، نحو قولك إذ رأيت قادماً: خيرَ مقْدم، قِدمت خيرَ مقّدم، فنابت الحال المشاهدة منابَ الفعل الناصب)[٣٢].

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

اعتبر ابن جني الحذف آلية بارزة من الآليات التي تحمل دلالة الاقتضاء ويتم تعيينها من خلال السياق.

- اهتم ابن جنّي بالسياق وعده الأساس الذي يدرك من خلاله المعنى، وعلى أساسه تتحدد الدلالات لديه، ودوره في إظهار المعنى المطلوب، حيث تظهر دلالات الكلام من خلال السياق.
- تناول ابن جنّي سياقِ الحال ونبّه إلى أنَّ مشاهد الحال قد ينوّب مناب اللفظ المحذوف لأن المحذوف من اللفظ إذا دلَّت الدلالة عليه كان بمنزلة الملفوظ به.
- أكدت الدراسة أن ابن جنّي في تعامله مع المبادئ التداولية وقف كثيراً على السياق بوصفه من أهم المعايير التي تقوم بتفسير اللغة وفق استعمالها، وتلك إشارة منه على ضرورة السياق في تداولية اللغة.

خلصت الدراسة إلى التأكيد على استيعاب الخصائص لدلالة الاقتضاء باعتبار المعنى السياقي، وأن الحذف كان سمة شبه عامة استوعبها الكتاب، وحاول بيان محوريتها في اللغة العربية، وعلاقة ذلك بوظيفة التخفيف والتيسير التي ترمي إليها العربية لمستعمليها، وبذلك تكون الدراسة أثبتت فرضيتها من وجود دلالة الاقتضاء عند ابن جني، وبروزها من خلال السياق والمعنى التركيبي والدلالي والتداولي، وكذلك التعرف على دلالة الاقتضاء وما تتقاطع فيه من مجالات معرفية ولغوية مختلفة، والتأكد من توظيف الظواهر اللغوية التي تثبت استيعاب كتاب الخصائص للعديد من النظريات اللغوية الحديثة والمعاصرة.

هوامش البحث:

(١) لسان العرب: مادة (قضي)، ٢٧٨.
(٢) مشكلة العامل النحويّ، فخر الدين قباوة: ١٢٥.
(٣) تهذيب اللغة، محمد أحمد الأزهر: ٩/ ١٦٩ – ١٧٠
(٤) تاج العروس، الزبيدي: ٣٩ / ٣١٦ .
(٥) انظر: لسان العرب:(باب اللام فصل الدال) ١/ ١٠٠٣.

(٣٢) المصدر نفسه: ١/٢٦٤.

(٦) البحر المحيط ، الزركشي: ٢/ ١٥٦ – ١٦١.

(٧) القاموس المحيط ، الفيروز آبادي:(باب اللام فصل الدال) ٣ / ,٣٧٧

(8) المعجم العربي الاساسي: المنظمة العربية للثقافة والفنون.

(٩) تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل حماد الجوهري: ١٤٩٩.

(١٠) ينظر: لسان العرب: ١٦٦/١٠ (مادة سوق).

(١١) مقاييس اللغة: ١١٧/٣ .

(١٢) دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان: ٥٩.

(١٣) علم الدلالة النظرية والتطبيق، فوزي عيسى، رانيا فوزي عيسى: ٥٩.

(١٤) المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة والحديث: ١١٦.

(١٥) علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، فايز الداية: ٢٢.

(١٦) دلالة السياق، ردَّة الله الطلحي: (أطروحة دكتوراه)، أشراف: عبد الفتاح عبد العليم، جامعة ام القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، المجلد الاول، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ، ٥٠–٥١.

(17) لسان العرب، ابن منظور: ٥/ ٣٢٧–٣٢٨.

(18) مقاييس اللغة، احمد بن فارس: ٢/ ٣١٤ – ٣١٥.

(19) التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي:٥.

(20) المنحى التداولي في كتاب "الخصائص" لابن جني، سمية شرفي:١١.

(٢١) انظر: آفاق في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة:١٤.

(22) الخصائص: ٢/ ٣٦٢.

(23) الخصائص: ٢/ ٩٥.

(24) دلائل الإعجاز: ١/ ٤٦.

(٢٥) دلائل الإعجاز: ١/ ٢٤٩.

(٢٦) يُنْظر: الخصائص: ٢٤٧/١.

(27) الخصائص: ٢٤٥/١ – ٢٤٦.

(28) المصدر نفسه : ١/ ٢٤٧.

(٢٩) الخصائص: ١٥٩/٢.

(30) المصدر نفسه: ١٥٨/٢.

(31) المصدر نفسه: ٢٩٣/١.

(٣٢) المصدر نفسه: ٢٦٤/١.

فهرس المصادر والمراجع:

(١) المعجم العربي الاساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، د. ط، ١٩٨٩.

(٢) ملامح نظرية السياق عند (ابن جنّي) –الخصائص– انموذجا، د. محمد بصل وفاطمة بلة: مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية–سلسة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد٣، المجلد٣٦، السنة ٢٠١٤،(٤٥٣–٤٦٦).

(٣) دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، المحقق: كمال محمد بشير، مكتبة الشباب عمان–الأردن، ط١، د.ت.

(٤) علم الدلالة النظرية والتطبيق، فوزي عيسى، رانيا فوزي عيسى، دار المعرفة الجامعية–الاسكندرية، ط١، ٢٠١٦.

(٥) المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، محمد أحمد أبو الفرج، دار النهضة العربية، ط١، ١٩٦٦.

(٦) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، فايز الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت–لبنان، ط٢، ١٩٩٦م.

(٧) النقد والسياق، سالم عباس خدادة: مجلة العلوم الانسانية، العدد الثاني، جامعة البحرين، السنة١٩٩٩م.

(٨) مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء، د. فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق– سوريا، ط١، ٢٠٠٣م.

(٩) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد أبو منصور الأزهري(ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي–بيروت.

(١٠) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، المحقق، وزارة الأرشاد والأنباء في الكويت–المجلس الوطني للثقافة والفنون.

(11) البحر المحيط في أصل الفقه، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي(ت٧٩٤هـ)، دار الكتبي، ط١، ١٩٩٤.

(١٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين ابن منظور الرويفعي الأفريقي(ت٧١١هـ)، مجلد٥، دار صادر، بيروت–لبنان، ط١، ١٩٩٠.

(١٣) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي(ت٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ط٨، ٢٠٠٥.

(١٥) دلالات التراكيب. دراسة بلاغية، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٣٩٩هـ.

(١٦) الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين السياق والنص، خلود العموش، عمان ،جدار للكتاب العالمي، د. ط، ٢٠٠٨م.

(١٧) دلالة السياق على معاني الزمن النحوي– دراسة نحوية دلالية–، عارف الدين: دراسات لغوية، جامعة الحاجة ماداه، اندنوسيا، مجلة الدراسات اللغوية والادبية، يونيو ٢٠١٨.

(١٨) جدلية السياق والدلالة في اللغة العربية النص القراني إنموذجاً، سيروان عبد الزهرة الجنابي: حيدر جبار عيدان، مجلة جامعة الكوفة، العدد ٩، السنة ٢٠٠٨م، (٣١-٥٧).

(١٩) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، ط ٢، ١٤٠١هـ.

(٢٠) علم المعاني في الموروث البلاغي، حسن طبل، مكتبة الإيمان، مصر، د. ط، ٢٠٠٤م.

(٢١) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ابو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، ط١، (١٣٧١هـ-١٩٥٢م).

(٢٢) معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق-سوريا، مجلد ٢، (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).

(٢٤) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، عالم الكتب، ط٥، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

(٢٥) علم الدلالة، احمد عمر مختار، عالم الكتب، القاهرة، د. ط ، ١٩٢٩م.

(٢٦) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية- المكتبة العلمية، عدد الاجزاء٣، ط٢، ١٩٥٢.

(٢٧) تداولية الخطاب القصصي في قصة (أوشام بربرية) لجميلة زنير، أميرة بو شوارب، سولاف سمار: (رسالة ماجستير)، إشراف: سعيدة حمداوي، جامعة العربي بن مهيدي -أم البواقي- كلية الآداب،(٢٠١٩ - ٢٠٢٠ م).

(٢٨) التداولية عند العلماء العرب-دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

(٢٩) المنحى التداولي في كتاب "الخصائص"، سمية شرفي،(رسالة ماجستير) إشراف: صالح بوترعة، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، ٢٠١٥ – ٢٠١٦.

(٣٠) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د. ط، ٢٠٠٢.

(٣١) تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين-بيروت، ط٤، ١٩٨٧.

(٣٢) دلالة السياق، ردَّة الله الطلحي(أطروحة دكتوراه)، أشراف: عبد الفتاح عبد العليم، جامعة ام القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، المجلد الاول، السعودية، ط١ ، ١٤١٨هـ.